

الأوضاع الاجتماعية في بغداد من خلال كتابات الرحالة الأجانب في العهد العثماني

السيد أحمد حسين عبد الجبوري
جامعة تكريت / كلية التربية / قسم التاريخ

المقدمة

إن لكتب الرحلات أهمية خاصة ، فهي تقدم وصفا لكثير من جوانب الحياة ، مما يوفر ثروة تاريخية غير يسيرة ، لها قيمتها في توضيح الأحداث واستقرائها .
وقد زار بغداد في العهد العثماني العديد من الرحالة الأجانب الذين دونوا في مذكراتهم ويومياتهم ما وقع تحت أعينهم ، وما لفت أنظارهم وما أثار انطباعاتهم على ما فيها من تحيز وتحامل في بعض الأحيان .

إن الغايات التي كان معظم الرحالة الأجانب يقصدون العراق من أجلها تنحصر خاصة بتزويد حكوماتهم بمعلومات ذات أهمية سياسية واقتصادية وعسكرية ، متخذين من السياحة والتجارة والتنقيب ستارا لهم ، فضلاً عن أن قسماً منهم جاء أصلاً من أجل هذه المهمة بصفة التمثيل السياسي والانتداب لأغراض تجارية أو فنية أو عسكرية .

ويورد ستيفن همسلي لونكريك في كتابه ((أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث)) ضمن قائمة مراجعه عن العراق للمدة مابين ١٥٥٣ - ١٩١٤ ، أسماء ثمان وتسعين رحلة وتقريراً ومقالة مسهبة ، تصف كلها العراق وأوجه الحياة فيه بطريقة أو بأخرى ، أما أصحاب هذه الرحلات فهم بين برتغالي ، وفرنسي ، وهولندي ، والماني ، وإيطالي ، وبريطاني ، وأمريكي ، وارمني ، وهندي ، وإيراني ، وتركي ، غير أن القسم الكبير منهم من الإنكليز .
وفي أثناء القرن التاسع عشر كثر اتصال العراق بالعالم الخارجي وتعددت أوجهه ، وصار الكثيرون من الأوربيين وغيرهم يقصدونه ويتجولون في أرجائه ، أو يقيمون فيه مدة تقل أو تزيد تبعاً للمهمة التي يأتون من أجلها .

يتكون البحث من مبحثين تناول المبحث الأول الخطط العمرانية لمدينة بغداد من خلال ما قدمه الرحالة من وصف عن مكونات بغداد العمرانية من السور والأبراج والخندق والسراي والقلعة والأسواق والمساجد والخانات ومحلات المدينة بجانبها الشرقي والغربي وجسرها الذي يربط بين جانبيها ومقاهيها الكثيرة ، وشوارعها وأزقتها الضيقة ومنازلها المتماثلة والمتشابهة في تصاميمها من ناحية الغرف والإيوان والسرداب وغيره ، وما حدث لها من تطور أو ما تعرضت له من خراب طيلة العهد العثماني .

أما المبحث الثاني فتطرق إلى البنية الاجتماعية للمدينة ، من عادات وتقاليد في مختلف جوانب الحياة ومن أزياء ، وطعام وشراب ومناسبات واحتفالات ، ودراسة أدق تفاصيل الحياة الاجتماعية للفرد البغدادي ، وعدد سكان المدينة وتقسيماتهم الدينية والطائفية والعرقية ، والتغير المستمر لأعداد السكان بسبب ما تعرضت له المدينة من الأمراض والفيضانات والحروب المستمرة ، وكلما تبدأ المدينة بالازدهار في تجارتها وتعيش برغد ورفاه تعقب ذلك آفة سرعان ما تدهورها وتسبب نقص السكان فيها .

إن الوقوف عند بعض الرحلات وتأشير الأهداف والغايات المرتبطة بها يحمل في جانب منه التأكيد على أهميتها في الكشف عن مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولأسيما وأنها لم تكن مجرد انطباعات ومشاهدات ، وإنما هي ذات قيمة كبيرة لأنها مصدر من مصادر تاريخ العراق الحديث .

وان مشاهدات الرحالة ، قد وفرت من الوصف الدقيق لمعالم عديدة ما لم تتناوله كتب التاريخ نفسها .

المبحث الأول

الخطط العمرانية للمدينة

يعود أقدم وصف للتكوين العمراني لمدينة بغداد في العهد العثماني إلى الرحالة الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف (Leonhart Rauwolff) ، الذي زار المدينة سنة ١٥٧٣ م ، إذ ذكر أنها تقسم على قسمين، وشبهها بمدينة بازل السويسرية على نهر الراين ، ولكنها لا تدانيها حسناً ونظافةً ، ذلك أن شوارعها ضيقة ، وأكثر منازلها واهنة البناء ، وأكثر جوامعها خربة حتى تحول لونها إلى السواد (١) .

ولم يلفت انتباهه سوى مقر الباشا والي بغداد وسوقها ، اما حماماتها فهي رديئة وسوداء معتمة حتى في النهار ، وجانب المدينة الأيمن مكشوف والدخول والخروج منها سهل جدا ، حتى انه شبهها بقرية كبيرة أكثر منها مدينة ، أما الجانب الكائن على الساحل الأيسر من دجلة فقد كان محصناً بالأسوار والأبراج العالية والخنادق المحيطة بالسور (٢) .

أما الرحالة البرتغالي تاكسيرا (Teixeira) الذي زار بغداد في عام ١٦٠٤ م ، فقد رأى أنها اصغر حجماً من البصرة ، وقل تأثيراً ، وهي خالية من الأبنية الحجرية الفخمة ، ولحظ تاكسيرا كذلك كثرة المقاهي الممتدة على شاطئ دجلة ، والتي يلتقي فيها الناس لشرب القهوة والتحدث ، ووصف المدينة بانها تتمتع بجو هادئ ونسيم عليل (٣) .

ويقول السائح الإيطالي بترو دلافاله (Pietro Della Valle) الذي شاهد بغداد سنة ١٦١٦م ، وذكر أنها تقع على جانبي دجلة ، وان شطرها الأكبر على الجانب الشرقي ، وهو مسور ، وفيها جوامع كثيرة ، واسواق حسنة البناء مغطاة ، وفيها بساتين واسعة يكثر فيها النخيل والليمون والرمان ويتصل جانباً المدينة بجسر من القوارب عددها (٣٠) قارب ، أما الباشا فيسكن في القلعة قرب سور المدينة على الجانب الشرقي منها (٤) .

وعن حقبة الاحتلال الصفوي ١٦٢٣ م ، يتحدث ريجارد كوك (Richard Kock) قائلاً ((وهوت حال بغداد مرة أخرى إلى الحضيض الأوهدي ، فلقد أصاب الحصار كثيراً من البنايات الكبرى فيها ولم يصلح من شأنها إلا قليل ، ولعل هذا الوقت هو بدء زوال ما بقي من مشيدات عهد الخلفاء وانهايار المدارس والحياة الثقافية في المدينة انهياراً نهائياً)) (٥) .

ولم تكن بغداد بأحسن حال حينما زارها تافر نبيه (Tavernier) سنة ١٦٥٢ م ، إذ أشار إلى ان أبواب المدينة تفتح عند الساعة السادسة صباحاً ، وأن مساحة المدينة تبلغ (١٥٠٠) خطوة طولاً ، و (٨٠٠) خطوة عرضاً ، ومحيط المدينة ثلاثة أميال ، وللمدينة أربعة أبواب ، تطل ثلاثة منها على البر ، أما الرابع فيطل على النهر، وفي المدينة خمسة جوامع ، اثنان مبنيان

بريافة بديعة ، وفيها عشرة خانات بناؤها رديء عدا اثنين منها يستعمله المسافرون للراحة ، وعموماً فالمدينة كانت سيئة البناء لا جمال فيها ، عدا أسواقها المسقفة^(٦).

ولبثت بغداد على هذا الوضع طيلة القرن السابع عشر الميلادي ، يجلبها الركود والخمول والانزواء ، وقد وصفها الرحالة الفرنسي ثيفنوت (Thevenot) وصفاً مؤلماً حين مرَّ بها العام ١٦٦٥ م ، إذ ذكر أنها أصبحت قليلة السكان بالنسبة إلى سعتها ، تتخللها مساحات واسعة عديدة تخلو من السكان، وفيما عدا السوق فإن ما بقي من المدينة لا يعدو أن يكون شبيهاً بالصحراء^(٧).

وزودنا الرحالة الألماني كارستن نيبور (Carsten Niebuhr) بمعلومات قيمة عن بغداد في منتصف القرن الثامن عشر ، حينما زارها سنة ١٧٦٦ م ، فكان خير من وصفها ، إذ أشار إلى أن القسم الأعظم من داخل المدينة مهدم وغير مسكون ، أما القسم المأهول بالسكان فهو الذي يقع على نهر دجلة والقريب من سراي الباشا ، وفيها شوارع كثيرة تغلق مداخلها كل مساء ، ومعظم البيوت مبني بالطابوق ، وهي عالية نوعاً ما ، وليس فيها نوافذ تطل على الشوارع ، وفي وسطها رحبة صغيرة مربعة الشكل تطل عليها جميع غرف المنزل ، وفي كل بيت يوجد سرداب يقضي فيه البغداديون طيلة النهار في الصيف لاتقاء الحر^(٨).

ويشير نيبور كذلك إلى كثرة التكايا والطرق الصوفية في بغداد ومنها القادرية والرفاعية ، فضلاً عن وجود أكثر من عشرين مسجداً تعلوها المنائر ، وفيها اثنان وعشرون خاناً ، سبعة منها يسكنها تجار كبار ، وفي بغداد عدة حمامات عامة ، ومستشفى ذو غرف قذرة مظلمة يُحجر فيها جميع المجذومين والمصابين بالأمراض المعدية^(٩) .

وفي سنة ١٧٧٥ م وصف بغداد الرحالة البريطاني بارسونز (Parsons) ، ومما استرعى انتباه بارسونز عند تجواله في بغداد، انتشار المقاهي بصورة كبيرة ، ولدى استفساره عن عددها، عرف بان عددها (٩٥٥) مقهى وجميعها مسجلة في سجلات الحكومة ، إذ تؤدي ضريبة سنوية ، وعلم بان هناك (٤٩٠) طلباً لفتح مقاه أخرى^(١٠) .

وزار بغداد في سنة ١٧٩٥ م ، الرحالة الفرنسي أوليفيه (Olivier) ، فقدم لنا وصفاً دقيقاً عن تصميم البيت البغدادي ، إذ أشار إلى أن مدينة بغداد ليست كبيرة ولا أهلها بالسكان كحلب ، والبيوت فيها ليست عالية ولا مبنية بشكل متين ، وهي بسيطة المظهر من الخارج ، وفيها قليل من الشبائيك ، وليس فيها سوى طابقين ، وهي مرتبة كلها تقريباً على شكل مربع حول فناء صغير مزروع فيه نبقة ونخلتان أو ثلاث^(١١) .

أما بيوت الأغنياء فإن لها فناء ثان يستعمل كحديقة ، ومجموعة سكنية ثانية مخصصة للنساء يقيم فيها الحريم ، وفي هذا القسم من البيت بخاصة لا يفتحون أي شباك يطل على الطريق، ومن بين غرف الطابق الأول وأكثرها للنوم ، هناك غرفة أكثر اتساعاً وشبه منعزلة ، ومفروشة للجلوس ، وهي تمثل الديوان ، يقضون فيها قسماً من النهار في جميع المواسم ، ويصف أقسام



المدينة بأنها قذرة وموحلة في الشتاء وتعج بالتراب صيفاً ، والأزقة ضيقة وقل ازدحاماً من الأسواق (١٢).

وشكا الرحالة البريطاني جاكسون (Jackson) الذي زار بغداد العام ١٧٩٧م من شوارع بغداد المتربة والضيقة جداً ، والتي تركت دونما اهتمام (١٣) .

وفي سنة ١٨٠٣ م ، وصل بغداد السائح الهندي مرزا أبي طالب خان ، ومما جاء في وصفه أن بغداد قسمان بغداد الحديثة وبغداد القديمة ، والمدينة الأولى من الجهة الشرقية وفيها يقيم الباشا وكبار الموظفين ، والثانية من الجهة الغربية من النهر ، وفيها منازل جميلة جداً ، ويبلغ محيط هاتين المدينتين ثمانية أميال ، إلا أن مرافق بغداد لا تتناسب وشهرتها ، فعقودها قذرة وموحلة والإقامة فيها شتاء مكروهة ، وأسواقها مظلمة ، إلا انه ميز دور أعيان المدينة المبنية بالأجر ، وأشار أيضاً إلى كثرة المقاهي وهي أيضاً مظلمة وقذرة (١٤) .

ووصف روسو (Rousseau) سراي باشا بغداد المملوكي سنة ١٨٠٩ م ، بأنه فسيح يحوي في داخله على منازل جميلة ، والبذخ الظاهر في تأنيثها لا يكذب ما يعتقد الأوربيون عن الأبهة الآسيوية (١٥) .

أما جمس بكنغهام البريطاني (J.S.Buckingham) الذي زار بغداد عام ١٨١٦ م ، فقد قدم لنا صورة جديدة عن بغداد إذ قال ((ان مساحات واسعة من الأراضي الواقعة ضمن الأسوار لا توجد فيها أبنية ، ولاسيما الجانب الشمالي الشرقي منها ، وحتى في الموقع الذي تكثرت العمارات فيه وعلى الأخص الحي المأهول أكثر من غيره والذي يقع على مقربة من النهر ، ترى فيه أشجار وفيرة ولذلك فعند النظر من شرفات المنازل القائمة ضمن الأسوار إلى هذا الحي يبدو وكأنه أشبه بمدينة تبرز من وسط البساتين وخاصة النخيل أو أشبه بما كانت عليه بابل كما يظن أي انه إقليم مسور وليس مدينة واحدة)) (١٦) .

وشوارع بغداد ضيقة وغير مبلطة ويتألف جانبها عادة من جدارين خاليين من المشاغل ، يندر فيها وجود النوافذ ، في حين تكون أبواب البيوت صغيرة وضيقة ، وهي شوارع ملتوية وأكثر تعرجاً ، ووجد بكنغهام ان بناية السراي عصرية نسبياً ، ويعتقد ان عدد المساجد في بغداد أكثر من مائة مسجد ، وهناك أيضاً أكثر من ثلاثين خاناً ، واشهرها خان الاورطمة الذي يمتاز بأروقته الكبيرة والصغيرة (١٧) .

وتختلف الحمامات هي الأخرى ، إذ يوجد في بغداد أكثر من خمسين حماماً ، زار الرحالة أحسنها ، وكان مشيداً بالأجر وكانت أرضيته البسيطة والكآبة العامة التي تسوده ، تجعله من أعظم الأنواع المهمة ، وكانت القنصلية الإنكليزية تعد من أوسع المنازل في المدينة وأفضلها وأكثرها تأميناً للراحة ، بعكس القنصلية الفرنسية التي كانت تقع في دار وضيقة وغير جيدة (١٨).

زار الرحالة ولستيد (Welstedt) بغداد أيام حكم داود باشا (١٨١٦-١٨٣١) ، وأشار إلى وجود مدارس ملحقة بالجمامع وتحدث بوصف مسهب على تصاميم البيوت البغدادية ، وأشار إلى الديوان الذي يكون مفتوحاً أمام الزوار دائماً ، وكانت جدران المنزل البغدادي مكفنة بالمرايا المزينة تزيينا عجبيا بالجمان ، وتغطي السقوف هي الأخرى بنقوش الخشب المحفور الذي يعرض المزيد من حسن الذوق (١٩) .

وتضم السراي عدة قصور فخمة ، وقام داود باشا والي بغداد بإصلاح بناية السراي في العام ١٨٢٠ م ، وقد راعى في عمله هذا النقوش والزينات (٢٠) ، اما افتتاحها فقد جرى في احتفال عظيم حضره الباشا (٢١) .

ويشير السير وليس بدج (S.W.Bidge) إلى ما أحدثه فيضان دجلة العام ١٨٣١ م ، من تخريب عمراني ويقول: ((وتهدم في اليوم السابع و العشرون من نيسان شطر كبير من سور المدينة الكائن في جانبها الغربي . ولقد تسرب الماء إلى أساسه فأوهنه ، وتدفق الماء إلى حي اليهود وجرف (٢٠٠) من بيوته)) (٢٢) .

ويقول فريزر (Fraser) السائح البريطاني الذي زار بغداد في سنة ١٨٣٤ م ، في إشارة إلى وجود الشناشيل في البيوت البغدادية ، فليست الشباييك المطلة على الشوارع كثيرة فقط بل توجد أيضا شرفات مطلة ، أو شباييك بارزة (شناشيل) ، وتخيم على الشارع فتسمح بدخول الضوء إلى الغرف الداخلية (٢٣) . وأشار إلى الميادين العامة التي تكثر فيها المقاهي ، إذ يجلس فيها كثير من الناس وهم يدخنون ويشربون القهوة ويلعبون الشطرنج (٢٤) .

وفي سنة ١٨٥٣ م ، زار بغداد السائح البريطاني جيمس فيلكس جونز (J.F.Jones) ، وقام بإجراء احصاء لعدد المحلات التي تتكون منها المدينة ، وما تحويه هذه المحلات من جوامع وأسواق وخانات ومقاهٍ وحمامات وغيره ، إذ بلغ عدد محلات الجانب الشرقي من بغداد (٤٠) محلة ، تحوي ما يقارب (٣٠٠) عقداً (عكداً) ، أما الجانب الغربي فاشتمل على خمس محلات فقط ، وتكثر فيه المساجد والحمامات والأسواق والتراب (المقابر) (٢٥) .

من ذلك نلاحظ أن التمرکز الكثيف للسكان كان في الجانب الشرقي والذي يعد مركز المدينة ومقر الولاية ، وتفضيل الناس للسكن فيه على الجانب الغربي . وتشير هذه الأرقام كذلك إلى الكثافة السكانية العالية وتزايد عدد السكان .

وأشار السائح الألماني بترمان (Petermann) الذي زار بغداد سنة ١٨٥٤م ، إلى وجود سوق خاص وكبير للكتب في أسواق بغداد، وهي إشارة إلى توجه جديد لأهالي بغداد في تجارة الكتب والعمل بها وانتشار الحركة العلمية والأدبية ومطالعة الكتب بكثرة ، وقسم بغداد على عدة محلات (١٨) منها في القسم الأيسر من نهر دجلة، ولكنها غير متساوية في السعة، إذ يوجد في أحدها (ألفا) دار، وفي الأخرى خمسون داراً فقط، وأشار إلى وجود (٩٠٠٠٠) دار في بغداد،

لكن القسم الأكبر منها خربة من الداخل ، وأشار إلى وجود زقاق خاص بالإنكليز في المدينة توجد فيه المقيمة البريطانية ويسكنه الإنكليز الموجودون في بغداد (٢٦).

وزار بغداد في سنة ١٨٦٦ م ، السائح الهولندي انيهولت (Anijeholt) ، وأسهب في وصف المدينة، ومما ذكره عنها قوله ((وتتألف المدينة من الجانب الأيسر الذي تقوم عليه الأحياء المأهولة ، أما الجانب الأيمن فيمكن اعتباره ضاحية يسكنها أبناء العشائر على الأكثر، ويتألف أكثر البيوت من طابقين ، والدور التي على شاطئ النهر تطل بغرف عالية ذات نوافذ جميلة واسعة مزينة بالزجاج الملون ، لكن البناء الذي يبهر الأبصار هو بلا ريب جامع الإمام الأعظم الذي ترتفع منائرته لتشرف على بغداد وترى على مسافة بعيدة منها ، وهناك شارع يعرف بشارع الإنكليز، إذ يحوي على دور الجالية البريطانية والذي ينتهي بدار القنصلية البريطانية العامة)) (٢٧). ويذكر الرحالة بعد ذلك أن في بغداد (٨٠) مقهى و (٤٥) خاناً ، و (٣٨) سوقاً، و (٤٠) مسجداً (٢٨) .

وكان وليم بيرري فوك (William Berry Fog) ، أول رحالة أمريكي يزور العراق ، إذ وصل بغداد سنة ١٨٧٤ م، وزار عدة أماكن منها قصر الوالي العثماني الذي لم يكن فخماً، حينما دخل غرفة استقبال ضيوف الباشا ، أشار إلى أنها كانت واسعة ومؤثثة أثاثاً نفيساً ، وقد زار فوك بعد مقابلته للباشا ، دار الصناعة البحرية ، ومحل صنع المكائن وإصلاحها ، ومحل السبك ، والمستشفى العسكري الذي كانت بنيته واسعة ولطيفة ، وكانت غرفه جيدة وواسعة، فضلاً عن احتوائه على الصيدلية والحمامات ، وزار أيضاً مدرسة الصناعة للأولاد الأيتام ، وقد وجد فيها (٨٠) تلميذاً ، وتحدث عن مرافق المدرسة من غرف الطعام ، وأماكن النوم والمستشفى، فضلاً عن إعجابه بمطبعة الحكومة ، والتي كانت تطبع جريدة الولاية الزوراء منذ العام ١٨٦٩ م (٢٩) .

وزارت بغداد في سنة ١٨٨١ م مدام ديولا فوا (Madame de la voix) ، وهي أديبة ومؤرخة فرنسية ، فأشارت إلى أن في بغداد مدرسة كبيرة أنشأتها هيئة فرنسية ، وقدمت لنا معلومات عن الترامواي (القطار) الذي أنشأه مدحت باشا والي بغداد السابق ، لتسهيل النقل بين بغداد والكاظمية إذ كان يقطع المسافة في ربع ساعة ، ويبلغ طول طريقه ستة كيلومترات تتخلله التمرجات والضيق والتراب ، محاولة التقليل من أهميته ، فضلاً عن ازدهار النشاط التجاري حتى أصبح خان الاورطمة مركزاً تجارياً مهماً (٣٠).

في سنة ١٩٠٧ زار بغداد السائح الهندي نواب حميد يارجونك بهادر ، فوصف هذا السائح تصميم البيت البغدادي ، إذ قال ((وتتألف البيوت عموماً من طبقتين ، وتؤثت الغرف بأرائك تُصَف قريباً من الجدران الأربعة ، ويغطي الأرض بساط نفيس ، وغيرها من أثاث)) (٣١).

المبحث الثاني

البنية الاجتماعية للمدينة / العادات والتقاليد

عند زيارة راوولف لبغداد ، لاحظ العديد من العادات والتقاليد وأمور أخرى ، ومن هذه العادات ، حين زار الباشا والي بغداد العثماني ، وأثناء مغادرته لغرفة الباشا يقول : ((وإذ ذلك قدمنا له الاحترام ثانية ، فخطونا خطوات إلى الوراء وغادرنا مسكنه ، ذلك انك لو أدت ظهرك لأي شخص تقابله ، حتى وان كان ضعيفاً ، لعد ذلك إهانة كبيرة له ، وقلّة أدب وغلظة منك))^(٣٢).

وأشار كذلك إلى انه حينما أراد تناول طعامه الذي أعده بنفسه على المدخنة ، اضطر بسبب عدم وجود مائدة طعام أو مقاعد إلى الجلوس على الأرض التي ينام عليها ليلاً ، واستعمل عباءته فراشاً ينام عليه أيضاً في ليالي الشتاء البارد ، ولمس أثناء وجوده فيها انتشار ظاهرة الفقر والفاقة عند عامة أهالي بغداد ، ووجد فيها عدداً كبيراً من المرضى والعرج ، وقال : ((انك لا تدهش أن تجد مثل ذلك العدد الكبير من العرج الذين يتجولون في شوارع بغداد))^(٣٣).

أما تاكسيرا فقد اهتم بالطعام كثيراً ، بالقياس إلى رجل برتغالي جائع ، إذ أشار إلى ان الطعام كان جيداً في بغداد ، ولاسيما السمك النهري ذو الطعم اللذيذ ، أما القهوة التي كانت ساخنة جداً ودافئة وبدون طعم ، فان تاكسيرا لم يكن شغوفاً بها ، على الرغم من الفوائد التي عزيّت إليها ، إذ كانت تشرب بكثرة في المقاهي الممتدة على شاطئ دجلة ، ففيها يلتقي الناس للتحدث والتسلية على وفق التقاليد السائدة في بغداد ، وشاهد تاكسيرا في بعضها غلماناً رشيقين وموسيقى تقليدية مؤثرة ، كما ولاحظ وجود جماعات من اليهود والعجم ، ويزعم بعض اليهود إنهم عاشوا في هذه البلاد منذ السبي البابلي ، وأشاد تاكسيرا بنظافة البغداديين ودماثة خلقهم ، فضلاً عن ارتدائهم الملابس النظرة^(٣٤).

وأشار بترو دلافاله إلى الصراع المذهبي في بغداد خلال حقبة الاحتلال الصفوي للمدينة وبعده ، إذ يقول : ((كان عدد الشيعة الموجودين منذ عهد الفرس كبيراً ، ولذا كان الوالي يذهب على راس السنة إلى مقر عمله بتحفظ شديد ، لأن لهيب المناقشات الدموية بين المذهبيين كان يندلع من وقت لآخر))^(٣٥). وذلك يعود إلى آثار الاحتلال الصفوي المتكرر للمدينة والذي عمل على إثارة النعرة الطائفية بين سكان بغداد من سنة وشيعة.

وزار بغداد الأب فيليب الكرملّي (Philippe de la Trinite) سنة ١٦٢٩ م ، ونزل في دار الآباء الكبوشيين من نصارى بغداد وزعماء الطائفة فيها ، وأشاد بمدى الترحاب والسرور بمقدمهم ، والجهد الكبير الذي بذلوه للتخفيف عنهم وإراحتهم ، إذ أن زيارته كانت في شهر تموز شديد الحرارة في بغداد^(٣٦).



وقدّم تافر نبيه معلومات دقيقة عن عادات سكان بغداد فأشار إلى أن في بغداد مذهبين إسلاميين هما الشيعة والسنة ، وتحدث بإسهاب وتفصيل عن جناز أهل بغداد وعاداتهم في ذلك من بكاء ولطم وعويل وتشيع للجنائز بمظاهر حزن شديدة ، وذكر انه لا يسمح للنساء مرافقة الجنائز إلى المقبرة ، لأنه لا يجوز لهن الخروج من الدار إلا في أيام الخميس لزيارة قبر الميت ، ومن عاداتهم الأخرى أن النساء يذهبن صباح الأربعاء إلى الحمامات للاغتسال ، وان بإمكانهن الخروج من الدار في غير هذه المناسبات ، حينما يأذن لهن أزواجهن بزيارة أقاربهن ، لكن عليهن التستر من أعلى الرأس وحتى أخصم القدم ، والعادة الجارية بين نساء بغداد كثرة استعمال الحلي والمجوهرات ، إلا أنهن لا يكتفين بلبس الحلي حول أعناقهن أو معاصمهن ، بل يعلقنها أيضاً حول وجوههن ، ويتقبن أذانهن لوضع الأقراط فيها ، وللمبالغة في تجميل أنفسهن يكتلن (٣٧) .

وأكثر من وصف طوائف نصارى بغداد وكنائسهم وعاداتهم في الجنائز ودفن موتاهم ، إذ يشير إلى أن النصارى في بغداد ثلاث فرق ، النساطرة ولهم كنيسة في محلة الميدان ، والأرمن واليعاقبة وليس لهم كنيسة ، بل يصلون في كنيسة الكبوشيين الذين يقيمون لهم الشعائر الدينية ، وحين يتوفى النصراني يحضر جميع النصارى للمشاركة في دفنه ، ويعودون إلى البيت ليجدوا الطعام معداً لهم ، ثم في اليوم الثاني يعودون إلى القبر ، ويصلون على المتوفى ، وفي اليوم الثالث يعدون عشاء للغادي والرائح ، وتكرر هذه المراسيم في أربعين المتوفى ، وفي هذه العادة عبء ثقيل على الفقراء من النصارى الذين يضطرون لبيع أولادهم للأتراك ليفوا بديونهم ، وأشار إلى وجود عدد من اليهود في بغداد ، وقد عدد السكان بأقل من خمسة عشر ألف نسمة ، مما يدل على ان المدينة لم تكن مأهولة . بما يتناسب وسعة مساحتها (٣٨) .

وزار بغداد سنة ١٦٥٦ م الرحالة الإيطالي الأب سبستيانى (Sebastiani) ، وأشاد بنصارى بغداد ، ووصف أحوالهم وطوائفهم ، وقد كان محمد باشا والي بغداد (١٦٥٥—١٦٥٦) يكن للآباء الكبوشيين احتراماً كبيراً ، فقد كان مريضاً فعالجه طبيباً منهم فشفاه من مرضه ، لذلك أكرمهم وأحسن إليهم ، وقد بلغ عدد المسيحيين الكاثوليك في بغداد (٤٠) أسرة ، أما الجماعات المسيحية الأخرى من أرمن ويعاقبة ونساطرة وهم بأجمعهم لا يتعدون (٢٠٠) أسرة ، وكانوا يصلون في دير الآباء الكبوشيين الذي كان يزوره الكثير من المرضى للعلاج عند الطبيب النصراني (٣٩) .

ويشير سبستيانى إلى اضطهاد الوالى الجديد للنصارى، إذ هدم بيعتهم وأقام مكانها مسجداً، ثم كبلهم بالحديد وحبسهم في بيت أحد النصارى ومنعهم من الخروج ، فعاشوا زمناً تعيساً وقاسوا الأمرين ، ولكن عند معرفته للحقيقة ، اشترى لهم بيتاً جديداً وسلمه لهم ليجعلوا منه بيعة لهم، ولحظ سبستيانى انه حينما يناول القربان في الصلاة إلى النساء من أهل بغداد في الكنيسة لهن

عادة التقرب وهن واقفات ، ان يعدون الوقوف علامة تبجيل ، ولحظ عادة أخرى عند الأتراك ، إنهم يحيون باليد اليسرى وفي إشارته الأخيرة هذه عدم الدقة^(٤٠).

واشتكى الرحالة الإيطالي فنسنسو (Vincenza) الذي زار بغداد العام ١٦٥٧ م ، من كثرة الضرائب والرسوم المستوفاة من زوار بغداد ، وسوء المعاملة من محصلي الرسوم وجنودهم ، وأعجب بكثرة خيرات بغداد من حبوب ولحوم وفواكه وبأسعارها الرخيصة وهو ما أثار إعجابه^(٤١) .

بينما بيّن نيبور أوضاع طائفتي السنة والشيعة في بغداد ، إذ إن الشيعة في بغداد ممنوعون من إقامة المآتم والتعازي واللطم في مناسباتهم الدينية ، لذلك كانوا يذهبون إلى مرقد الإمام موسى الكاظم القريب من المدينة لأداء طقوسهم الدينية ، أما السنة فجميعهم من إتباع مذهب أبي حنيفة يسرون على تعاليمه ، ومن ضمنهم أكثر الأتراك ، والشيعة لا يحبون أبا حنيفة ويكرهونه ، ولحظ نيبور ضعف الحركة العلمية في بغداد ، إذ إن قليلاً من الناس يعرفون القراءة والكتابة^(٤٢) . ويحاول الرحالة دائماً التشكيك بطيب العلاقة وحسنها بين السنة والشيعة في بغداد . وزرع الفرقة بينهم وإظهار مظاهر الكره بين أبناء الطائفتين كل واحدة للأخرى وهو أمر غير موجود .

ويروي بوشان (Beauchamp) الذي بقى في بغداد ستة اشهر سنة ١٧٨١ م ، أن الأمن كان مستتباً ، ولم يؤذَ النصرى بأي شكل من الأشكال ، ولم تحدث سرقات ولا جرائم قتل طيلة مدة بقائه ، وكان عدد السكان يزداد في بغداد ، إذ بلغ مائة ألف نسمة تقريباً^(٤٣) .

ويؤكد أوليفيه أن عدد سكان بغداد أيام زيارته لها كان (١٠٠) ألف نسمة ، إلا أن النصرى الذين تحدث إليهم في بغداد يقدرتهم بثمانين ألفاً ، ويوزعهم هكذا ، خمسون ألف عربي (مسلم) ، عشرون ألف تركي بما في ذلك الحماية وحرس الباشا ، وحوالي ألف كردي وألف وخمسمائة مسيحي من الكلدان والأرمن ، وألفان وخمسمائة يهودي^(٤٤) .

ويعتقد أوليفيه أن الظرافة موجودة عند السكان ، وتتمثل في الذوق الكامل الموجود في عادات أهل بغداد ومراسيمهم ، وفي لهوهم الرفيع ، وان سكان بغداد كانوا أكثر حلماً في طباعهم من سائر سكان المدن الأخرى ، فتعصبهم الديني لا يخلو من التسامح ، ولم يؤدِ الحسد عندهم إلى ظلم كبير ، وكان أشرف البلدة أكثر تأدباً وثقافة ، وتجارهم أكثر فاعلية وتشبثاً ، وكانت نساء الأغنياء أكثر جمالاً وظرافة ، وحتى نساء الفئة الكادحة أو الفقيرة كان تركيبهن جيداً وأبدانهن جميلة ، وخطوط الوجه عندهن منتظمة ببيضويات الوجوه ، يتكلمن بصورة سليمة ، وكان النساء والرجال متساوين من ناحية تزيين الحواجب والشعر ، ولم يصادف في المدينة رجلاً ذا لحية بيضاء ، لأن الجميع كانوا يخضبون لحاهم بالسواد^(٤٥) .

وأشار اوليفيه إلى عادات أهل بغداد لاتقاء حر الصيف الشديد ، إذ ينزلون إلى سراديب بيوتهم في النهار ، والتي توفر لهم جواً أقل حرارة ، وفي المساء ومنذ مغيب الشمس يخرجون من مخابئهم إلى سطوح بيوتهم حاملين عشائهم ، فيفرشون المنام ، ويبدأ أوان الزيارات ، وساعات الأتس ، فيجلب الأغنياء راقصين وموسيقيين وقارئین مهنتهم سرد حكايات على غرار الف ليلة وليلة^(٤٦) .

ولحظ جاكسون ذلك أيضاً إذ يقول : ((لقد علمت فيما بعد بأن مجرد التطلع من وراء الجدار القائم على السطح يعد مسلكاً محفوفاً بالخطر ، ذلك أن الأهالي لا يترددون لحظة واحدة في إطلاق النار على أي شخص يكتشفون انه كان يتطلع إلى منازلهم))^(٤٧) .

وأكثر أبو طالب خان (وهو من اصل فارسي وموظف لدى الإدارة البريطانية في الهند) من الحديث عن الاضطهاد الذي يتعرض له الشيعة في بغداد من الأتراك ، وادعى قيام السنة في بغداد بسبب الأئمة الشيعة ، وإهمال الأتراك الاعتناء بمراقدهم ، فضلاً عن استقراره في دار القنصل البريطاني ، والذي جلب عليه غيظ المسلمين، وغضب الباشا ، ويشير إلى تطبع القنصل البريطاني بطباع الأتراك ، وتركه للأتراك البريطاني ، ولأن أبو طالب خان كان نهماً يحب الأكل، فلم تعجبه مائدة القنصل ، إذ كانت سيئة المحتوى والاعداد دائماً ، والحديث عليها كان كئيباً سقيماً^(٤٨) .

يبدو ان أبو طالب خان أرسل إلى العراق للعمل على إثارة المشاكل بين السنة والشيعة وزرع الفرقة والخلاف بينهم وادعائه الكاذب تعرض الشيعة وأئمتهم للاضطهاد والتكيل من الإدارة التركية وأهل بغداد من السنة. وهو أمر حاول عدد من الرحالة إبرازه وإذكائه ، لكن أهل بغداد وعلى مر العصور ظلوا متلاحمين ومتحدين صفاً واحداً سنة وشيعة ضد أي خطر يتهدهم، وهو أمر يدحض مزاعم هؤلاء الرحالة ومنهم أبو طالب خان .

أما دوبرية (Dupre) فقد ذكر ان عدد سكان بغداد بلغ (١٥٢٢٢) عائلة مؤلفة من (٧٦٠٠٠) ألف نسمة ، بينها ست عائلات أوربية ، وستة يونانية ، وثمانية سريانية ، و (٩٠) كلدانية ، و (١١٢) أرمنية ، و (٢٠٠٠) يهودية ، و (١٣٠٠٠) عائلة إسلامية تضمن العرب والأتراك والعجم ، وكان من بين المسلمين ، ولاسيما الأشراف والتجار الكبار من يتظرفون في ألبستهم فيسيرون بفخفة مرتدين الألبسة المصنوعة من الأقمشة الهندية والشالات الكشميرية ، أما النساء اللواتي لم يكنن ينزوين في الحرم فهن من اصل عربي ولونهن زيتوني وخطوط وجوههن غليظة وأكتافهن عريضة ، ويكثر الوشم على سواعدهن ، ويحملن حلقات كبيرة من الذهب في أنوفهن وشفاهن ، وكان النصارى واليهود في بغداد في حرية وآمان ، ولا يصابون بأذى ، وكان بإمكانهم لبس الأحذية الصفراء ، بينما يمنع عليهم ذلك في سائر مدن الدولة العثمانية وولاياتها ،

ويبدو أن هذا تقليد سارت عليه الدولة العثمانية في معاملة رعاياها من أهل الذمة في تحديد لون الملابس والأحذية التي يرتدونها ونوعها^(٤٩).

وكان المجتمع البغدادي بحسب تصنيف بكنغهام يتكوّن من موظفي الحكومة الكبار من مدنيين وعسكريين، وهم من الأتراك ، أما التجار والباعة فهم من اصل عربي في حين ان عامة أهل بغداد تتألف من مزيج من عربي ، تركي ، فارسي ، وهندي ، بكل صفاتهم المتباينة ، وهناك بعض اليهود والنصارى الذين يحتفظون بطبقاتهم المميزة لهم ، بينما يتألف الغرباء في المدينة من الأكراد والفرس والأعراب ، وتختلف ملابس الأتراك في بغداد عن أتراك اسطنبول ، فهي في بغداد أقل زركشة وفخامة ويغطون رؤوسهم بقبعة من القماش تدعى القاووق ، بينما يلبس التجار اللباس العربي الخالص ، ويكثر عامة بغداد من لبس العمام البيضاء خصوصاً المسلمين منهم تمييزاً لعقيدتهم ، أما اليهود والنصارى فهم يلبسون عباءات سوداء وشالات من الجوخ أو الحرير الأزرق كعمائم ، أما نساء بغداد فيرتدين أردية زرقاء ويغطين وجوههن بقطعة قماش أسود شفاف^(٥٠).

وأشار بكنغهام إلى ان عدد اليهود في المدينة يبلغ عشرة الاف نسمة ، ومما لفت انتباهه أيضاً الحفلات التي كانت تقام في الميدان وسط بغداد والتي تقدم فيها الأغاني والموسيقى ، وممارسة الرقص ، وإشعال النار احتفاءً بحلول شهر رمضان ، اذ كان أغنياء بغداد يسهرون في الليل ، وينامون في النهار ، أما الفقراء فهم مضطرون على الرغم من صومهم إلى العمل لسد رمقهم^(٥١).

والأمر الذي أدهش بكنغهام في بغداد هو ان اللغة التركية أكثر استعمالاً من اللغة العربية عامة ، وانحطاط في الحركة الأدبية ، وقلة في الكتب ، رافقه كذلك تدهور في الأمن داخل المدينة، وضعف الشرطة عند أداء مهامها ، مما أدى إلى حدوث أعمال قتل وسلب ونهب ، فضلاً عن وجود نساء مهمتهن تزيين السيدات بأحدث المصوغات من الخلاخيل والأحزمة والزنانير حول الخصر او الصدر^(٥٢).

وامتدح القنصل البريطاني في بغداد كلوديويس جيمس ريج (Claudius S.j.Rich) العام ١٨٢٠م ، عادات الكرم والضيافة البغدادية ، وأشاد بالحفاوة التي استقبله بها صديقه القديم عبد الله بك في بيته في ضواحي المدينة ، وطيب الوليمة الفخمة جداً التي أعدها إكراماً لضييفه ، واستقبلت صالحة خاتون زوجة عبد الله بك السيدة ريج استقبالاً مضاهياً وهي سيدة معروفة في الوسط النسائي البغدادي ، إذ كانت إحدى أرامل سليمان باشا (١٧٧٩-١٨٠٢) والي بغداد المملوكي السابق^(٥٣).



وكانت بغداد أيام ربيع غنية بالفواكه من الخوخ والمشمش والتفاح والأجاص والتوت ، واللحوم ولاسيما لحم الضأن والبقر ، والخضراوات من بطاطا والتي جلبت إلى العراق من قبله وزرعت في حديقة بيته ، والطماطم وغيرها (٥٤) .

كان ولستيد مهتماً بالاطلاع على خصوصيات البغداديين بدقة ، وأكثرَ من البحث عن الكماليات والزينة في طراز لباسهم من أحذيتهم الملونة وعطرياتهم وماء الورد ، ومن حلبيهم الذهبية والمجوهرات المصنوعة بذوق بدائي وغير سليم ولكن من الذهب الخالص (٥٥) .

وأشار ولستيد إلى أن الصياغ الوحيدون في بغداد هم اليهود والنصارى ، ونتيجة لانتشار الأمن فإن أهل السوق عند سماعهم للأذان يتركون محلاتهم ويذهبون إلى الصلاة فليس هناك خوف من اللصوص ، والفراش الوحيد الذي يستعمل للجلوس والنوم عليه هو الحصر المحاكاة من سعف النخيل ، والتي يوضع فوقها غطاء خفيف مصنوع من القطن ، ويتصف أهل بغداد أثناء الحديث معهم بالحيوية والإمتاع ، وهم في تصرفهم كرماء أسخياء ، متحررون من روح التعصب ، وهم شديدي التعلق بأطفالهم (٥٦) .

ويقدر ولستيد عدد سكان بغداد بمائة وعشرين ألف نسمة ، ثلثين منهم خليط من العرب والأتراك والعجم ، أما البقية فإنهم من اليهود والمسيحيين ، ويؤلف الأرمن القسم الأكبر من النصارى ، واليعاقبة والنساطرة ، ويوجد في بغداد حوالي سبعة آلاف يهودي ، وهم يحتفظون بدرجة واسعة من المميزات الشخصية والخلقية ، وهم متكاتفون فيما بينهم ، وبعضهم من كبار موظفي الولاية ، وهم يسكنون في حي منفصل من المدينة ، تحت أمره حاخام يكون مسؤولاً عنهم أمام باشا بغداد وعن تصرفاتهم ، إلا أن المسلمين والنصارى ينظرون إليهم نظرة ازدراء واحتقار (٥٧) .

عاصر ولستيد الطاعون والفيضان اللذين ضربا بغداد سنة ١٨٣١ م ، وما أحدثه من موت ودمار وخراب ، ومحاولة القنصلية البريطانية الحد من انتشاره ، ووفاة الآلاف يومياً ، وعلى الرغم من هذه الحالة السيئة ، انتشرت كذلك العصابات التي كانت تسرق وتتهب بيوت الموتى ، ثم تلا ذلك فيضان نهر دجلة الذي أدى إلى غرق أجزاء كثيرة من المدينة وتهدم أكثر منازلها ، وحتى بيته الذي استقر فيه تعرض للغرق ثم تهدم ، وما كانت تعانيه المدينة من خراب ودمار يفوق الوصف (٥٨) .

ولفتت انتباه فريزر حين تجول في المدينة حالتان ، الحالة الأولى هي كثرة الحمير البيض (المطايا) التي يستعملها المتقنون ورجال الدين للركوب داخل المدينة ، فضلاً عن سيدات بغداد اللواتي يستعملنه للتنقل بين أحياء المدينة ، أما الحالة الثانية ، فهي الولع بشراء العبيد السود وهم موجودين بكثرة في بغداد ، ويؤكد على ان امتلاك العبيد السود كان مقتصرًا على المسلمين فقط ، إذ لا يحق للنصارى واليهود بامتلاك العبيد ، كما ولا يحق لهم الركوب على الدواب في الشوارع

وكان الإنكليز والفرنسيين معفوين من هذا المنع^(٥٩). ويبدو أن هذا إجراء عام تتخذه الدولة العثمانية مع أهل الذمة مع جميع ولاياتها.

ويكثر فريزر من وصفه لنساء بغداد ويتهجم على حجاب البغدادية وتسترها ويصفها بالشبح ، ثم يبدأ بوصف هذا الحجاب والبرقع ، ونوع القماش والغاية منه ، ثم يتطرق إلى الملابس التي يرتديها في المنزل وعند الزيارات ، من القمصان والصداري والشال والستر والسراويل والعمائم والطرايش ، أما الحلبي وأنواعها من قلادات وأقراط وخواتم وأساور ، ثم يشير إلى " جهل نساء الطبقة الراقية في بغداد وسخافتهم وسماجتهم " ، وهي ملفتة للنظر وبصورة مؤلمة ، فضلاً عن قضاء معظم أوقاتهن بالتسلية والزيارات^(٦٠) .

واهتم الرحالة الروسي جيريكوف (Gereckof) ، الذي زار بغداد سنة ١٨٤٧ م ، بالمواد الغذائية وأنواع الأطعمة الموجودة في بغداد إذ يقول : ((يستعمل العرب نوعاً من الطعام يهيؤونه من التمر المخلوط ببذور السمسم ، والجراد المطبوخ الأصفر فقط ، ويجففونه بأشعة الشمس ، وبعض النباتات القرنية البرية التي تشبه الباقلاء ، ويصنعون الخبز من هذه النباتات القرنية ، ويستعمل لحم الضبع عندهم أيضاً في الطعام))^(٦١) .

ويشير جيمس فليكس جونز في سنة ١٨٥٣م ، ان بغداد عبارة عن خليط من السكان عددهم دون الستين ألفاً ، وكونها مزيج من عناصر بشرية مختلفة ، ويسكن الأتراك من موظفي الولاية المحلات الشرقية من المدينة ، في حين يتوزع السكان الآخرون في بقية المحلات ، بمن فيهم الطبقات التجارية من مسلمين ونصارى ويهود ، في محلات منفصلة في الأقسام الرئيسية من المدينة ، ويعيش النصارى واليهود بحرية تامة ، و بإمكانهم ركوب الدواب داخل المدينة ، وتقسم الخمسة عشر ألف عائلة المكونة للمدينة على الأتراك وعددهم (٤٠٠٠) عائلة ، والإيرانيين (٢٠٠٠) عائلة ، واليهود (٢٠٠٠) ، والأكراد (١٠٠٠) ، والعرب (٢٠٠٠) والبدو العرب (٢٠٠٠) ، فضلاً عن تعدد اللغات فيها ، إذ توجد إلى جانب اللغة العربية التي أفسدها النصارى ، والذين يصفهم بأنهم أكثر السكان جهلاً ، اللغات التركية والفارسية والكردية والكلدانية والأرمنية والعبرية بين اليهود^(٦٢) ، والسكان وادعون وليس هناك من مظاهر للتعصب الديني ، فاليهودي والنصراني يلقي التسامح ، وتمتع بحصانة لا يجدها في مكان آخر^(٦٣) .

ويرى بترمان الذي زار بغداد سنة ١٨٥٤ م ، ان عدد سكان بغداد بين (٦٠ - ٨٠) ألف أغلبهم من المسلمين ، وعدد النصارى واليهود اقل بكثير ، وبحسب روايته هنالك (٨) عوائل كاثوليك روم ، و (٨) عوائل من الأرمن ، و (٦٠) عائلة سريانية ، و (١٢٠) عائلة كلدانية ، ويذكر ان عدد اليهود (١٣٠٠) عائلة ، ويوجد في بغداد كذلك ما يقارب (٥٠٠٠) بابي (بهائي) بين مسلمي المدينة ممن فروا من إيران والتجأوا إلى بغداد^(٦٤) .



وحضر بترمان حفلة زواج احد أهالي بغداد المسلمين وشاهد عاداتهم في الخطبة وحفلة المهر وليلة الحنة ، ثم ليلة العرس ، والتي تعزف فيها الموسيقى ويغني فيها المغنون ، ثم بعد ذلك الجلوس على مائدة الطعام وتناول وجبة العرس ، وتعرف إلى الأجانب الموجودين في بغداد من أطباء وتجار وأصحاب حرف ، وهم ثمانية من الإنكليز وألمانيان (٦٥) .

وتشير مدام ديلافوا إلى انه من السهولة ملاحظة حقد أبناء الطائفة السنية في بغداد للشيعة وعداوتهم لهم ، ولبيان الدور التبشيري للقنصلية الفرنسية تمدح ديولافوا هذه القنصلية ودورها في إنشاء مدرسة ابتدائية في بغداد تضمن صبية من مختلف الأديان والمذاهب ، وكذلك دور الراهبات الفرنسيات في تدريس البنات البغداديات وتعليمهن (٦٦) . ويبدو أن أكثر الرحالة اقتصروا بإذكاء الروح الطائفية لدى أهالي بغداد لزعة تماسكهم ووحدتهم .

وتقول ان النساء النصرانيات يلبسن العباءة (الايزار) حينما يخرجن من البيت ، وهي مصنوعة من الحرير ، وتغطي الجسم من الرأس إلى القدم ، اما الشابات فيضعن الطاقيات على رؤوسهن وهي مزينة بالحلي ، ويرتدين كذلك أثواباً مزركشة ، متكونة من قسمين علوي وسفلي ، وهي مكشوفة الصدر وضيقة ، فضلا عن الحلي والمجوهرات الكثيرة التي يرتدينها في المناسبات (٦٧) .

أما عن المواد الغذائية في بغداد فتبين انه يمكن شراء الدجاج المنزلي ، وأنواع الطيور الأخرى بأسعار زهيدة جدا ، وهناك خراف جيدة ، والأسماك كثيرة ومبتذلة ، وأن هناك كميات كبيرة من الخضراوات والفواكه الجيدة (٦٨) .

وكان عدد سكان بغداد سنة ١٨٨٨ م ، حوالي (١٥٠٠٠٠) نسمة ، بحسب رواية بدج ، وهم خليط من السنة والشيعة ، واليهود ، والأرمن ، والكلدان ، والكاثوليك ، والنساطرة ، واليعاقبة ، والبروتستانت ، وكانت بينهم ألفة ومحبة ، إذ يستغرب بدج من عدم حدوث ما يعكس صفو هذه الحياة والسلام الدائم ، وكان اليهود طبقة ثرية لها قوتها في المجتمع البغدادي من خلال استعمال الإدارة العثمانية لهم في الإدارة المالية ، ويتسم أهل بغداد بروح التسامح والطيبة تجاه الأجانب ، ان لم يتدخلوا في شؤون المسلمين ، ويدخل ادهم مكاناً مقدساً لهم (٦٩) .

وأشار نواب حميد يارجونك بهارد العام ١٩٠٧ م ، إلى ان رجال بغداد يلبسون ثياباً تتكون من سترة طويلة تصل الكاحلين وحزام حول الخصر ، وفوق ذلك معطف فضفاض ، يدعى العباءة ، ويضعون على رؤوسهم قطعة قماش مربعة ، تطوى في شكل مثلث تعرف باليشماغ أو الكوفية ، وتثبت بالعقال ، وان الفئة المرفهة من العرب والأتراك يتناولون الطعام على منضدة وترتب صحون الطعام على المائدة قبل البدء بالأكل ، ويستعمل الأتراك الشوكة والسكين ، أما أهل بغداد فلا يستعملونها (٧٠) .

الخاتمة

توالت على بغداد الغزوات والكوارث والمعارك سواء أكان ذلك في الاحتلالين الصفوي والعثماني حين تتناوب بغداد خلالها الأيدي المتنازعة وتتحكم بها القوى الطامعة ، فضلاً عما أصابها في هذه العصور من كوارث وأوبئة وحرائق وفيضانات ، غير ان بغداد على الرغم من ذلك حافظت على سيادتها وبقائها عاصمة فعلية للعراق .

وقد زار بغداد في العهد العثماني العديد من الرحالة الأجانب فقدموا وصفاً لكثير من جوانبها . فتوافرت من ذلك كله ثروة تاريخية غير يسيرة ، لها قيمتها في توضيح الحوادث التي كانت تقع في شتى الأدوار التي مرت بها هذه البلاد ، ولاسيما في عصورها المظلمة ، على ما فيها من تحيز وتحامل في بعض الأحيان .

لقد بينَّ البحث جوانب مهمة من أوضاع بغداد الاجتماعية في العهد العثماني مستنداً إلى ما كتبه الرحالة عن ذلك ، والذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا ذكروها ، واهتموا بدراسة تفاصيل مهمة من حياة الفرد البغدادي ، ووصفوها بدقة ، وعاصروا أحداث مهمة وقعت في بغداد مثل الطاعون والفيضان فدونوا أحداثها يوماً بيوم ، وزودتنا رحلاتهم بتعدادات كثيرة للسكان وبحسب انتمائهم الديني والعرفي والمذهبي ، مما ساعدنا على معرفة عدد سكان بغداد طيلة العهد العثماني. وتعمق الرحالة في الحياة الاجتماعية البغدادية ، فلم يتركوا عادة إلا عرفوها ، ولم يتركوا تقليداً إلا فهموا مغزاه ، ولا يفوتنا أن نذكر كثرة الملاحظات التي أوردوها عن الجانب العمراني للمدينة ، والتطور الحاصل فيه على مر العصور ، وقدموا لنا تفصيلاً دقيقاً لجميع أجزاء المدينة ، واهم بنايات فيها وعدد محلاتها ، وجوامعها وخاناتها وأسواقها ، وحماماتها ومقاهيها وترامواي المدينة .

هذا قليل من كثير عن بغداد العهد العثماني كما وصفها السياح الأجانب الذين كانت مؤلفاتهم المادة الأساسية لمعرفة أوجه الحياة المختلفة التي كانت عليها بغداد.

هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع

- (١) رحلة المشرق إلى العراق وسوريا وفلسطين سنة ١٥٧٣ ، للرحالة الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف ، ترجمة وتعليق : سليم طه التكريتي ، (بغداد ، ١٩٧٨) ، ص ١٧٠ ؛ قارن مع : ستيفن همسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة : جعفر الخياط ، ط ٥ ، (بغداد ، ١٩٦١) ، ص ٦٥ ؛ ببيردى فوصيل ، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤ - ١٩١٤ ، ترجمة : أكرم فاضل ، (بغداد ١٩٦٨) ، ص ٤٣ .
- (٢) سليم طه التكريتي " بغداد في سنة ١٥٧٣ ، كما يصفها الرحالة الهولندي الدكتور ليونهارت وراوولف " ، مجلة المورد ، مج (٥) ، ع (٢) ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٧٥ ، سعاد هادي العمري ؛ بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة ، (بغداد ، ١٩٥٤) ، ص ١٨ .
- (٣) فؤاد قزانجي ، " رحلة تاكسيرا إلى العراق في القرن ١٧ م " بقلم سارا سيراييت ، مجلة المورد ، مج (١٨) ، ع (٤) ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٢٤٨ .
- (٤) علاء موسى كاظم نورس ، " بغداد في رحلات الأجانب في العهد العثماني " ، مجلة المورد ، مج (٥) ، ع (٣) ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ١٤ ، العمري ؛ المصدر السابق ، ص ص ١٩ - ٢٠ .
- (٥) ريجارد كوك ، بغداد مدينة السلام ، ترجمة : فؤاد جميل ومصطفى جواد ، (بغداد ، ١٩٦٧) ، ج ٢ ، ص ٢٢ . ويذكر فنشنسو الايطالي الذي زارها في نفس الفترة ان قسماً كبيراً من المدينة قد احترق ولا تزال جدران هذه البنايات قائمة ، وليس هناك من يفكر باعادة بنائها . للتفاصيل ينظر : بطرس حداد " رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن ١٧ " ، مجلة المورد ، مج (٥) ، ع (٣) ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٧٧ .
- (٦) العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافر نبيه ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، (بغداد ، ١٩٤٤) ، ص ص ٧٨ ، ٨١ ؛ علاء موسى كاظم نورس ، أحوال بغداد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . دراسة لمختارات مما كتبه الرحالة الأجانب ، ط ١ ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص ١١ .
- (٧) عماد عبد السلام رؤوف العطار ، الحياة الاجتماعية في العراق ايان عهد المماليك ١٧٤٩ - ١٨٣١ م ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ص ٢٨ - ٢٩ .
- (٨) رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة : محمود حسين الأمين ، (بغداد ، د . ت) ، ص ٢٩ ؛ جون غوردون لوريمر ، دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي ، ترجمة : مكتب الترجمة في ديوان امير دولة قطر ، (بيروت ، ١٩٧٠) ، ج ١ ، ص ٢٥٢ ؛ خليل علي مراد ، تاريخ العراق الإداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٠٤٨ - ١١٦٤ هـ / ١٦٨٣ - ١٧٥٠ م ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٣٥٢ .
- (٩) العمري ، المصدر السابق ، ص ص ٢١ - ٢٢ ؛ نورس ، أحوال بغداد ... ، ص ٢٠ .
- (١٠) نورس ، بغداد في ، ص ١٥ ؛ رحلة إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا ، للرحالة الانكليزي الشهير جمس ريموند ولستيد ، ترجمة : سليم طه التكريتي ، (بغداد ، ١٩٨٤) ، ص ٨٧ .
- (١١) رحلة أوليفيه إلى العراق ١٧٩٤ - ١٧٩٦ ، ترجمة : يوسف حبي ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ٧٦ .

- (١٢) يوسف حبي ، " الرحالة الفرنسي أوليفيه يصف بغداد عام ١٧٩١ " ، مجلة المورد ، مج (١١) ، ع (٤) ، بغداد؛ ١٩٨٢ ، ص ص ١٨ - ١٩ ؛ داود صليوا ، ((بغداد)) ، مجلة المقتطف ، السنة (٥) ج (١) ، القاهرة، ١٨٨٠ م ، ص ١٤٩ .
- (١٣) مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧ م . للرحالة الانكليزي جاكسون ، ترجمة : خالد فاروق عمر ، ط ١ ، (بيروت ، ٢٠٠٠) ، ص ٨٦ .
- (١٤) رحلة ابي طالب خان إلى العراق وأوربا سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٩ م ، ترجمة : مصطفى جواد ، (بغداد ، ١٩٦٩) ، ص ص ٣٦٦ - ٣٦٨ .
- (١٥) العطار ، المصدر السابق ، ص ٥١ .
- (١٦) جمس بكنغهام ، رحلتي إلى العراق سنة ١٨١٦ ، ترجمة: سليم طه التكريتي، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ج ١ ، ص ١٩٢ .
- (١٧) نورس ، أحوال بغداد ... ، ص ص ٣٧ - ٤١ ، كونستانس .م. الكسندر ، بغداد في الايام الخوالي ، ترجمة : سعيد أحمد الحكيم ، ط ١ ، (أبو ظبي ، ٢٠٠١) ، ص ٦٢ ؛ لوريمر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ؛ جاسم محمد هادي القيسي ، أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣١ - ١٨٦٩ م دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٠٤ .
- (١٨) بكنغهام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٨ ؛ العمري ، المصدر السابق ، ص ص ٥٦ - ٥٨ ؛ الكسندر ، المصدر السابق ، ص ص ٦١ - ٦٢ .
- (١٩) ولستيد ، المصدر السابق ، ص ٧٤ ، ٨١ ، ٨٧ .
- (٢٠) لقد اكثر الرحالة ولستيد كثيراً ، في وصف هذه الزينات ، أنظر : ولستيد ، المصدر السابق ، ص ص ٧٠ - ٧١ ؛ رسول حاوي الكركوكلي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة : موسى كاظم نورس ، (بيروت ، ١٩٣٦) ، ص ٢٩٣ .
- (٢١) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، (بغداد ، ١٩٤٩ - ١٩٥٦) ، ج ٦ ، ص ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ؛ القيسي ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ .
- (٢٢) سروليس بدج ، رحلات إلى العراق ، ترجمة : فؤاد جميل ، ط ١ ، (بغداد ، ١٩٦٦) ، ج ١ ، ص ٤٤ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص ٣١٩ - ٣٢١ .
- (٢٣) جيمس بيلي فريزر ، رحلة فريزر إلى بغداد في ١٨٣٤ ، ترجمة : جعفر الخياط ، ط ١ ، (بغداد ، ١٩٦٤) ، ص ٧٥ ؛ قارن مع : لوريمر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .
- (٢٤) العمري ، المصدر السابق ، ص ٦٥ ، العطار ؛ المصدر السابق ، ص ٤٠٥ .
- (٢٥) للتفاصيل أنظر : نورس ، أحوال بغداد ... ، ص ص ٥٥ - ٨٦ .
- (٢٦) العمري ، المصدر السابق ، ص ص ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ونلاحظ اختلاف في ارقام عدد المحلات بينه وبين جونز، وان هناك مبالغة في وجود اكثر من (٩٠) ألف دار في بغداد في تلك الحقبة ، ولاسيما كثرة تعرضها للفيضان من نهر دجلة ، وكذلك كان جونز مختصا في مسح الأراضي ، لذلك كانت معلوماته اكثر دقة من بترمان ؛ للتفاصيل أنظر : عبد الوهاب الأمين ، " بغداد في سنة ١٨٥٣ م . بقلم جيمس فيلكس جونز " ، مجلة المورد ، مج (٣) ، ع (١١) ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ٦٧ .

- (٢٧) مير بصري ، ((رحالة هولندي في العراق)) ، مجلة الاقلام ، السنة (٦) ، ج (٦) ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص ص ٩٤ - ٩٥ ؛ عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ص ٢٩٣ .
- (٢٨) بصري ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .
- (٢٩) نورس ، أحوال بغداد ... ، ص ص ٩١ - ٩٨ ، نوار ، المصدر السابق ، ص ٣٨١ .
- (٣٠) ديولافوا ، رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة العراق سنة ١٨٨١ م / ١٢٩٩ هـ ، نقلها إلى العربية عن الفارسية : علي البصري ، (بغداد ، ١٩٥٨) ، الصفحات ٦٦ ، ٩٠ - ١٠٠ ، ١١٩ - ١٢٥ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص ٣٨٣ - ٣٨٤ ؛ نوار ، المصدر السابق ص ص ٣٨٠ - ٣٨١ .
- (٣١) كاظم سعد الدين ، " رحلة إلى بغداد ، للرحالة نواب حميد يارجونك بهادر " مجلة المورد ، مج (١٨) ، ع (٤) ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١٤٣ .
- (٣٢) التكريتي ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .
- (٣٣) رحلة المشرق ، المصدر السابق ، الصفحات ١٧٥ - ١٧٦ ، ١٨٥ - ١٨٦ .
- (٣٤) قرانجي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٨ ؛ يبدو ان المقهى الذي زاره تاكسيرا واستراح فيه هو مقهى حسن باشا ، الذي شيده والي بغداد حسن باشا . للتفاصيل أنظر : يعقوب سركييس ، مباحث عراقية ، ط ١ ، (بغداد ، ١٩٥٥) ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .
- (٣٥) العمري ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .
- (٣٦) بطرس حداد ، " الرحلة الشرقية للأب فيليب الكرمللي ١٦٢٩ م " مجلة المورد ، مج (١٨) ، ع (٤) ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١٥٦ .
- (٣٧) العراق في القرن السابع عشر ، المصدر السابق ، ص ص ٨٢ - ٨٤ ؛ قارن مع : ولستيد ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .
- (٣٨) العراق في القرن ... ، ص ص ٨٤ - ٨٦ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١١٣ . إن تقدير عدد السكان أمر معقول . وربما نستطيع ان نعزو ذلك الانخفاض في عدد السكان بالدرجة الأولى إلى الأحداث المؤلمة التي شهدتها بغداد اثناء عملية الاحتلال الصفوي الثاني سنة ١٦٢٣ م ، والاحتلال العثماني الثاني ١٦٣٨ م . للتفاصيل أنظر : لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص ٩٣ - ٩٦ ؛ مراد ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .
- (٣٩) بطرس حداد " رحلات سبستيانى إلى العراق في القرن السابع عشر " مجلة المورد ، مج (٩) ، ع (٣) ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ص ١٨٧ - ١٨٨ ؛ حداد ، رحلة فنشنسو ، ص ص ٧٦ ، ٧٩ ؛ وينكر لونكريك ان التساهل الديني في عهد الوالي أق محمد باشا ، كان منتشرًا ، فكنيسة النساطرة مفتوحة ، والرساليات الاجنبية حرة في تصرفاتها . أنظر : لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .
- (٤٠) حداد ، رحلات سبستيانى ... ، ص ص ١٨٧ - ١٨٨ ؛ حداد ، رحلة فنشنسو ... ، ص ص ٨٨ - ٨٩ . في أيام الوزير محمد باشا الخاصكي بنى بعض الرهبان كنيسة بقرب مرقد الشيخ محمد الازهري ، في حين أن النصارى لم يبنوا في بغداد ديراً ، فلما سمع الوزير بذلك ، هدم الكنيسة ، وبنى مكانها جامعاً وعرف بجامع الخاصكي ، للتفاصيل . أنظر: العزاوي ، المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٦٤ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .
- (٤١) حداد ، رحلة فنشنسو ... ، ص ص ٧٦ - ٧٧ .

- (٤٢) رحلة نيبور ، المصدر السابق ، ص ٤١ ؛ نورس ، أحوال بغداد ، ص ٢١ .
- (٤٣) العمري ، المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ عن عدد السكان . أنظر : العطار ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .
- (٤٤) حبي ، المصدر السابق ، ص ٢٢ ؛ فوصيل ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .
- (٤٥) أكثر أوليفيه من وصفه لطباع النساء البغداديات وجمالهن وملابسهن ، والاصباغ التي يستعملنها للزينة ، وطرق استعمالها . أنظر : رحلة أوليفيه إلى العراق ، المصدر السابق ، ص ص ٨٦ - ٩٠ ؛ قارن مع : ولستيد ، المصدر السابق ، ص ص ٩٣ - ٩٤ .
- (٤٦) أشار معظم الرحالة الذين زاروا بغداد في فصل الصيف إلى هذا التقليد البغدادي خلال هذه الحقبة . للتفاصيل . أنظر : حبي ، المصدر السابق ، ص ٢٤ ؛ رحلة نيبور ، المصدر السابق ، ص ٢٩ ، مشاهدات بريطاني ، المصدر السابق ، ص ص ٨٦ ، ٩٥ ؛ بكنغهام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، ج ٢ ، ص ٦٥ ، ١٤٧ ؛ الكسندر المصدر السابق ، ص ٢٦ ؛ صليوا ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .
- (٤٧) مشاهدات بريطاني ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .
- (٤٨) رحلة أبي طالب خان إلى العراق ، المصدر السابق ، الصفحات ٢٦٩ - ٢٧١ ، ٤٠١ - ٤٠٢ .
- (٤٩) العمري ، المصدر السابق ، ص ٤٢ ؛ ويتفق معه بكنغهام في عدد السكان والذي قدرهم بـ (٨٠) الف نسمة . أنظر : بكنغهام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٩ ؛ فريزر ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .
- (٥٠) بكنغهام ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٩٩ - ٢٠١ ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ؛ العطار ، المصدر السابق ، ص ص ٣٩٧ - ٣٩٨ ، ٤٠٠ .
- (٥١) بكنغهام ، المصدر السابق ج ٢ ، الصفحات ٧٠ ، ٨٢ ، ٨٤ - ٨٥ ؛ العطار ، المصدر السابق ، ص ص ٤٠١ - ٤٠٢ .
- (٥٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ص ١٤٣ - ١٤٦ ، ١٥٠ .
- (٥٣) كلوديوس جيمس ريج ، رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠ م ، ترجمة : بهاء الدين نوري ، (بغداد ، ١٩٥١) ، ج ١ ، ص ٣ .
- (٥٤) الكسندر ، المصدر السابق ، ص ٦٤ ؛ سركييس ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .
- (٥٥) العمري ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .
- (٥٦) ولستيد ، المصدر السابق ، ص ص ٨٠ ، ٨٢ ، ٩١ ؛ بدج ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٣ ؛ صليوا ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
- (٥٧) ولستيد ، المصدر السابق ، ص ص ٩٤ - ٩٦ ؛ قارن مع : عبد العزيز سليمان نوار ، داود باشا والي بغداد ، (القاهرة ، ١٩٦٧) ، ص ١٣٣ ؛ فوصيل ، المصدر السابق ، ص ٩١ ؛ بدج ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٥ .
- (٥٨) ولستيد ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٢ - ١١١ ؛ فريز ، المصدر السابق ، ص ص ٩٤ - ١٠٦ ؛ نوار ، المصدر السابق ص ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص ٣١٩ - ٣٢١ .
- (٥٩) فريزر ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٦ - ١٣٨ .
- (٦٠) المصدر نفسه ، ص ص ١٣٨ - ١٤٧ ؛ صليوا ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ ؛ ديولافوا ، المصدر السابق ، ص ٥٨ ؛ العطار ، المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .



- (٦١) ب . م . د انتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الاوسط ، ترجمة ،معروف خزنة دار ، ط ١ ، (بغداد ، ١٩٨١) ، ص ٢٧٣ .
- (٦٢) الأمين ، المصدر السابق ، ص ٦٧ ؛ بينما تشير مصادر أخرى عن نفس الحقبة أن عدد النصاري في بغداد بلغ (٨٦) عائلة من مختلف الطوائف، اما اليهود فقد بلغ عددهم (٣٠٠٠) بيت في بغداد. أنظر : نوار ، داود باشا...، ص ١٣٨ ؛ القيسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ ؛ وعن التنوع السكاني . أنظر : جعفر خياط ، " مشاهدات جون أشر في العراق " مجلة سومر ، مج (٢١) ، ج (١ - ٢) بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ١٠٢ .
- (٦٣) الأمين ، المصدر السابق ، ص ٧٠ ؛ صليوا ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ ؛ لوريمر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .
- (٦٤) نورس ، بغداد في ، ص ٢٣ ؛ العمري ، المصدر السابق ، ص ٨٦ - ٨٧ ؛ القيسي ، المصدر السابق، ص ١٤٧ ؛ بصري ، المصدر السابق ، ص ٩٤ .
- (٦٥) العمري ، المصدر السابق ، الصفحات ٩٦ - ٩٨ ، ١٠٢ - ١٠٣ ، ١١١ .
- (٦٦) ديولافوا ، المصدر السابق ، ص ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ؛ فوصيل ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ - ١٤٦ ؛ نوار، العراق الحديث ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
- (٦٧) ديولافوا ، المصدر السابق ، ص ٧٨ - ٧٩ .
- (٦٨) نورس ، أحوال بغداد ، ص ١٠٣ .
- (٦٩) بدج ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٤ - ٤٥ ، ٨٣؛ لوريمر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .
- (٧٠) سعد الدين ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ .